

التحرير والتنوير

والقول الثالث : أنه ملك من ملوك الفرس وأنه " أفريدون بن أنفيان بن جمشيد " . هذه أوضح الأقوال وما دونها لا ينبغي التعويل عليه ولا تصحيح روايته .

تعيينه تقرب أحوال الآية هذه في قصته من نستخلص أن علينا يحق الاختلاف هذا تجاه ونحن A E وتزييف ما عداه من الأقوال وليس يجب الاقتصار على تعيينه من بين أصحاب هذه الأقوال بل الأمر في ذلك أوسع وهذه القصة القرآنية تعطى صفات لا محيد عنها : إحداهما : أنه كان ملكا صالحا عادلا .

الثانية : أنه كان ملهما من الله .

الثالثة : أن ملكه شمل أقطارا شاسعه .

الرابعة : أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكانا كان مجهولا وهو عين حمئة .

الخامسة : أنه بلغ بلاد ياجوج ومأجوج وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية فكانت وسطا بينهما كما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابه .

السادسة : أنه أقام سدا يحول بين ياجوج وماجوج وبين قوم آخرين .

السابعة : أن ياجوج وماجوج هؤلاء كانوا عاثرين في الأرض فسادا وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك .

الثامنة : أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء .

التاسعة : أن خبره خفي دقيق لا يعلمه إلا الأخبار علما إجماليا كما دل عليه سبب النزول . وأنت إذا تدبرت جميع هذه الأحوال نفيت أن يكون ذو القرنين إسكندر المقدوني لأنه لم يكن ملكا صالحا بل كان وثنيا فلم يكن أهلا لتلقي الوحي من الله وإن كانت له كمالات على الجملة وأيضا فلا يعرف في تاريخه أنه أقام سدا بين بلدين .

وأما نسبة السد الفاصل بين الصين وبين بلاد ياجوج وماجوج إليه في كلام بعض المؤرخين فهو ناشئ عن شهرة الاسكندر فتوهم القصاصون أن ذلك السد لا يكون إلا من بنائه كما توهم العرب أن مدينة تدمر بناها سليمان عليه السلام . وأيضا فإن هيرودوتس اليوناني المؤرخ ذكر أن الاسكندر حارب أمه (سكيثوس) . وهذا الاسم هو اسم ماجوج كما سيأتي قريبا .

وأحسب أن لتركيب القصة المذكورة في هذه السورة على اسم إسكندر المقدوني أثرا في اشتهاار نسبة السد إليه . وذلك من أوهام المؤرخين في الإسلام .

ولا يعرف أن مملكة إسكندر كانت تبلغ في الغرب إلى عين حمئة وفي الشرق إلى قوم مجهولين عراة أو عديمي المساكين ولا أن أمته كانت تلقبه بذئ القرنين . وإنما انتحل هذا اللقب له

لما توهموا أنه المعني بذي القرنين في هذه الآية . فمنحه هذا اللقب من مخترعات مؤرخي المسلمين وليس رسم وجهه على النقود بقرنين مما شأنه أن يلقب به . وأيضاً فالإسكندر كانت أخباره مشهورة لأنه حارب الفرس والقيط وهما أمتان مجاورتان للأمة العربية .
ومثل هذه المبطلات التي ذكرناها تتأتى لإبطال أن يكون الملك المتحدث عنه هو أفريدون فإما أن يكون من تبابعة حمير فقد يجوز أن يكون في عصر متوغل في القدم . وقد توهم بعض المفسرين أنه كان معاصراً إبراهيم عليه السلام وكانت بلاده التي فتحها مجهولة المواقع . ولكن يبعد أن يكون هو المراد لأن العرب لا يعرفون من خبره مثل هذا . وقد ظهر من أقوالهم أن سبب هذا التوهم هو وجود كلمة (ذو) التي اشتهر وجود مثلها في ألقاب ملوك اليمن وتباعته .

فالذي يظهر لي أن ذا القرنين كان ملكاً من ملوك الصين لوجود .

أحدهما : أن بلاد الصين اشتهر أهلها منذ القدم بأنهم أهل تدبير وصنائع .

الثاني : أن معظم ملوكهم كانوا أهل عدل وتدبير للمملكة .

الثالث : أن من سماتهم تطويل سعر رؤوسهم وجعلها في صفيرتين فيظهر وجه تعريفه بذي القرنين .

الرابع : أن سدا ورد ما عظيماً لا يعرف له نظير في العالم هو موجود بين بلاد الصين وبلاد المغول . وهو المشهور في كتب الجغرافيا والتاريخ بالسور الأعظم وسيرد وصفه .

الخامس : ما روت أن حبيبة عن زينب بنت جحش (رض) أن النبي A خرج ليلة فقال : (ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج هكذا . وأشار بعقد تسعين " أعني بوضع طرف السبابة على طرف الإبهام " .

وقد كان زوال عظمة سلطان العرب على يد المغول في بغداد فتعين أن ياجوج وماجوج هم المغول وأن الردم المذكور في القرآن هو الردم الفاصل بين بلاد المغول وبلاد الصين وبانيه ملك من ملوكهم .